

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

بِقَلَمٍ: أَبِي سُرَاقَةَ الْهَاشِمِي

الحمد لله رب العالمين، الذي اختصَّ أهل العلم بالشرف، ورفع منزلتهم على سائر الخلق وأهل الترف، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، الذي لم يورث دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورث العلم، فمن أوتيته فقد أخذ حظًا وافرًا، ومن حُرِّمه فهو أشدُّ الناس حرمانًا؛ وبعد:

إن الله ﷻ أرسل الرسل والأنبياء يهدون الناس إلى عبادة الله وتوحيده، ويرشدون الخلق إلى شرعه، ويبصرون الناس بما عليهم ولهم، ويرجعونهم إلى الجادة وصواب الطريق إذا ما نزل الانحراف بقوم، حتى يأمنوا عذاب الله ومكره -جل وعلا-، وهكذا حتى ختم الله رسالته ببعث أبي القاسم -عليه الصلاة والسلام-.

وإن من رحمة الله ﷻ بخلقه؛ تهيئة زمرة من عباده للأخذ بميراث نبيها بعد أن انقطعت النبوة، وانتهى عصر الرسالة، كما أن من رحمة الإله -سبحانه- بأمة المسلمين أنه جعل علماءها خيارها، بخلاف الأمم الهالكة والقرون السالفة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "كل أمة قبل مبعث محمد عليه السلام علماءؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءها خيارها"<sup>(1)</sup>.

(1) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (8 / 1).

ويقول ابن القيم رحمه الله: «العلماء ورثة الأنبياء»<sup>(2)</sup>... دليل على أنهم أقرب الناس إلى الأنبياء؛ في الفضل والمكانة والمنزلة؛ لأن أقرب الناس إلى المورث ورثته، ولهذا كانوا أحق بالميراث من غيرهم، كذلك العلماء أحق الناس بالنبي عليه السلام وأقرب الناس بالنبي عليه السلام هم أهل العلم»<sup>(3)</sup>.

وبذهاب العلماء يهلك الناس، وقيل لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: "هلاك علمائهم"<sup>(4)</sup>، وهلاك العلماء كما أنه يكون بموتهم؛ فإنه يكون أيضاً بتسلط المتحذلقين الرعاع وحقراء العلم عليهم؛ بالوقوع فيهم، والتنفير منهم، والخوض في أعراضهم، والتشكيك في علمهم، وإرادة إبعاد الناس عنهم، وصرف قلوب العامة إلى أهل الأهواء والبدع والمتلونين، وإلى الأقوال التي لا أصل لها في كتاب الله، ولا في سنة رسوله عليه السلام.

وقد جاء عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [سورة الرعد: الآية 41] هو: "موت العلماء"<sup>(5)</sup>، وفي هذا قال الشاعر:

الأرض ترحا إذا ما عاش علمها      متى يمّت عالم منها يمّت طرفُ  
كالأرض ترحا إذا ما العيث حلّ بها      وإن أبا عاد في أكنافها التلّفُ

وإن التعريض بأهل العلم والجهاد، ذنب قبيح وحرمة مهلكة؛ ولذا قال بعض السلف: "لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصيهم معلومة"، "ومن رامهم بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب"<sup>(6)</sup>.

وفي الحديث الصحيح أن النبي عليه السلام قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»<sup>(7)</sup>.

(2) أخرجه أبو داود (341 / 2) برقم: 3641.

(3) أخرجه الدارمي في سننه (90 / 1) برقم: 241، والبيهقي في شعب الإيمان (253 / 2) برقم: 1662.

(4) مفتاح السعادة (66 / 1).

(5) تفسير الطبري (497 / 16).

(6) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري (ص: 29، 425).

(7) أخرجه البخاري (105 / 8) برقم: 6502.

وإنما الولاية أصالة وبداءة بلا ريب لأهل العلم، ويتبعهم الناس، بما عندهم من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، قال الإمام الطحاوي رحمته الله: "وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"<sup>(8)</sup>.

ولقد تناول أحد الأعمار الصغار الأشرار، وطعن في عالم من الأعلام الأبرار، فلم يكتفِ هذا الشبر بإثم التخلف والعودة، فأوحى له الشيطان لحرب من طلب رضا المعبود! "فشتان ما بين المقدسين!".

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَدْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

فلا يهم الشيخ أبا يعقوب -ثبته الله- تشغيبُ المجاهيل ولا كيد الحاقدين، فمن شهدت له حلقات العلم وساحات الجهاد بحسن الفعل وقوة الفهم؛ لن يثرب عليه من بالجهل قد عُمر.

لقد جمع الشيخ أبو يعقوب المقدسي -أثابه الله- بين طلب العلم والهجرة، ومرارة الأسر والجهاد في سبيل الله، فشغل الشيخ عدة مناصب في الدولة الإسلامية -أعزها الله- منها أنه كان:

- شرعيًّا إحدى الكتائب العسكرية المقاتلة في "ولاية الخير".
- عضوًّا في "مكتب البحوث والدراسات" المفوض بالإفتاء وإعداد البحوث العلمية في الدولة الإسلامية.
- قاضيًّا للمعاملات في "ولاية الرقة".
- قاضيًّا للأسرى في "ولاية الخير".
- وأخيرًا أميرًا لمكتب البحوث والدراسات.

فألف كتاب "الباعث على إتمام الناقض الثالث"، وكتاب "نشر الآثار في تكفير المشركين وإسلام الموحدين الأبرار"، وهو على رأس الإمارة خلفًا للشيخ المجاهد تركي البنعلي -تقبله الله-.

(8) العقيدة الطحاوية (ص: 57).

وقد كان موقف الشيخ -حفظه الله- من التعميم المعنون بـ "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ" موقفًا عظيمًا، حيث أنكروا ونصحوا، فعوقب وسجن ظلماً وعدواناً، وثبت ولم يبدل أو يتنازل، فجزاه الله عنا كل خير.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة، فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديدًا على المبتدعة"<sup>(9)</sup>.

لله درك أبا يعقوب، صرعت أهل البدع بقلمك، وألجمت أهل الردة ببحوثك، حتى رموك عن قوسٍ واحدة.

ومن مؤلفاته -حفظه الله- التي ألفها ضمن عمله في "مكتب البحوث والدراسات"، والتي أقرها الشيخ تركي البنعلي -تقبله الله-:

- الإجابة في حكم طلب الشفاعة ممن أقبل على الشهادة.
- العمدة في سبي المرتدة.
- الإخبار بحكم الصلاة إلى مدافئ النار.
- الأربعون العددية من الأحاديث النبوية.
- الأربعون في الجهاد والاستشهاد.
- الإعلان بأحكام الختان.
- التجريد في تحزيب القرآن المجيد.
- التخريج الجلي لما روي في زكاة الحلبي.
- المنتقى في مسائل الرقي.
- رفع الشريب عن اتخاذ المحاريب.
- رفع اللبس في حكم التعزير بحلق الرأس.
- نيل الظفر في إقامة الحدود في الغزو والسفر.

(9) سير أعلام النبلاء (13/ 499).

- القول المجمل في زواج المرأة بعد زوجها الأول.
- حكم الحاكم في المسائل الاجتهادية.
- رفع الشدة في حكم المعتدة.

ختامًا:

إن من سنة الله ﷻ أن يخرج الله أضغان أعداء شريعته ومنهجه القويم، فما من داع إلى الله ﷻ أو كان قائمًا بالدعوة إلى منهج الله -جل وعلا-؛ إلا وعودي، ولأخرج الله من أرذل الناس من يتهمه بما لم يكن قط تهمة تلتصق به، فضلًا عن كينونتها من صفاته أو سماته.

وما الشيخ المقدسي إلا رجل حمل على عاتقه همّ الدعوة وحمل المنهج، وخروج الأراذل للطعن فيه وبعلمه، وهو من هو؛ ليس إلا زكاه له، وخير مارية على تفانيه وصدقه.

رضي الله عنه، ورزقه الثبات والإخلاص، ومتعنا والمسلمين بعلمه وعمله.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو سراقة الهاشمي

الجمعة 4 ربيع الآخر 1439 هـ - 22 ديسمبر 2017 م

\*\*\*

1439 هـ | 2017 م



مؤسسة الوفاء الإعلامية